

لم يهتم المؤرخون القدماء بشؤون الممالك، إلا في إطار علاقتها بالصراع الروماني القرطاجي، لذلك فجل المؤرخين والمصادر التي تناولت موضوع الممالك تبقى أجنبية (إغريقية لاتينية) تقتصر في أغلب الأحيان إلى الموضوعية، حيث يعبر معظمها عن السياسة التوسعية لروما، ظهرت هذه الممالك ابتداء من القرن الثالث قبل الميلاد لتظهر في شكل مملكتين كبيرتين تمثلت في نوميديا و موريطانيا. وقد استمرت في الوجود محاولة لتوحيد منطقة شمال افريقيا لكن لسوء الحظ انتهت كل هذه المشاريع التوحيدية إلى الفشل بسبب أطماع روما.

1-مملكة نوميديا : انقسمت الى قسمين :

أ-المملكة المازيسيلية: لفظ اطلقه المؤرخون على سكان نوميديا الغربية نسبة الى قبائل المازسيل الذين استوطنو شمال افريقيا منذ اقدم العصور، و قد ورد ذكرهم في المصادر القديمة ابتداء من القرن 2 ق.م ، و قد تكررت اشارت المؤرخين عن هذه المملكة في نهاية القرن 3 ق.م ابان الحرب البونيقية الثانية على انها مملكة قائمة بذاتها لها ملك و ادارة ، كما اشير في المصادر الى لفظ المازسيل لاول مرة عام 220 ق.م ، كما ورد ذكرهم عند بوليبيوس حيث قال انه وجد ضمن جيش حنبعل فرسان من المازسيل .

يعتبر الملك صيفاكس اول ملك ورد ذكره في النصوص التاريخية كملك على مملكة المازسيل، و عن حدود المملكة المازيسيلية نجد وصف لسترابون الذي وصف حدود المملكة بدقة بحيث تمتد على اراضي واسعة من وادي الملوية الى راس تريتون و كانت عاصمتها سيقا التي تعتبر العاصمة الاولى و اصلية للملك صيفاكس، و التي تقع على الضفة الشمالية لنهر التافنة و شرق نهر الملوية، اما حدود المملكة المازيسيلية من الجهة الشرقية فقد كانت خاضعة لتوسعات الملك صيفاكس و كانت سيرتا العاصمة الثانية حيث امتازت هذه الاخيرة بموقعها الاستراتيجي لوجودها فوق مكان مرتفع تحيط به منحدرات و عرة وهاوية ويسيل في سفحها واد الرمل الشيء الذي يجعلها في حصن منيع من كل الغارات والهجمات ، وكانت تلك الربوع في جهتها المجاورة لموريتانيا على غاية من

الخصب وصالحة للزراعة خصوصا زراعة الحبوب ، الا ان نواة قوة المازسيل كانت تقع في المناطق الغربية في الاقليم الوهراني حيث توجد العاصمة الحقيقية للمملكة ، حيث قام صيفاكس بسك عملة حملت اسمه الذي يعني رئيس الدولة او ملك المملكة ، كما لعب دورا تاريخيا هاما في الحرب البونيقية الثانية حيث تحدث عنه المؤرخون القدماء دون ان يقدموا الكثير عن نشاته اذ نكاد نجهل كل شيء عن حياته كشخص او ملك باستثناء ما اكده Polybe عن زواجه بفتاة قرطاجية من عائلة ارستقراطية ابنة القائد القرطاجي Asdrubal ، وحسب بوليبي كان لها تأثير واضح في قرارات الملك السياسية. بالاضافة الى الدور العسكري الذي خاضه حيث استطاع ان يوسع نفوذه و ان يضم كل نوميديا في حوزته ، كما كانت له سياسة خاصة و علاقات صداقة و تعاون اقتصادي مع قرطاج و روما و اسبانيا في فترات السلم ، و هو ما ادركه الرومان و القرطاجيون الذين تنافسوا عليه ليجعلوه حليف لهم.

اما بخصوص الحدود الجنوبية للمملكة فكانت ايضا اكثر غموضا فالاراضي الخاضعة للمملكة كانت تمتد حتى تخوم جيتوليا و هو ما مكنها من اخذ اراضي واسعة و ملائمة للزراعة و تربية المواشي و تقدم ظروف معيشية ملائمة لعدد كثيف من السكان، و هو ما سمح بتجنيد و تهيئة جيش كبير و قوي. و بخصوص المدن الساحلية فكانت تابعة للمملكة المازيسيلية التي اعتبرت كمراكز هامة لمساهمتها في ازدهار التجارة في البحر الابيض المتوسط و في التبادل الحضاري بين المملكة و العالم الخارجي.

انتهت المملكة المازيسيلية مع نهاية الملك صيفاكس بعد ان قام بالعديد من الحروب ضد قرطاج و روما اثقلت كاهنه حيث ترتب من هذه الحروب استنزاف غالبية موارد الدولة مما نجم عنه من تدهور في كل الميادين و فقر بعد ان اشتهرت المملكة بغنائها و ازدهارها نتيجة الغنائم التي كانت مصدر الثروة ، لتختفي المملكة المازيسيلية بعد القضاء على صيفاكس حيث لم تعد تذكر في كتب المؤرخين الا قليلا ، ليقوم باحتلالها الملك ماسنيسا ما بين 203ق.م/202ق.م.

ب-المملكة الماسيلية: نسبة الى قبائل الماسيل التي لعبت دورا حاسما على المسرح السياسي الافريقي اثناء اقضاء قرطاجة و المساة بنوميديا الشرقية، و قد اعتبر بعض المؤرخين ان الملك ايليماس كان اقدم ملوك الماسيل ، كما ينسب الى هذه القبيلة قبر مدغاسن و الذي يؤرخ الى الفترة ما بين اواخر القرن الرابع و اوائل القرن الثالث ، باعتبار ان الاسرة التي ينتمي اليها غايا و ابنه ماسنيسا و المنحدرون منها كانت في السلطة منذ اواخر القرن الرابع، غير انها بدأت تعرف خلال القرن الثالث.

و عن حدود هذه المملكة فكانت تغطي الشرق الجزائري و غرب تونس ، لكن حدودها كانت متغيرة غير ثابتة لخضوعها للوضعية السياسية و العسكرية التي غلبت على افريقيا الشمالية، و يمكن القول انها كانت عموما محصورة بين الاراضي القرطاجية في الشرق و مملكة المازسيل في الغرب، في بداية الحرب البونيقية كانت سلطة ملك الماسيل تمتد من الاوراس و الشرق القسنطيني، و مهما كان امتدادها الا انها كانت تغطي مناطق غنية بالغابات ، كما ضمت اراضيها سهول صالحة للزراعة الحبوب حيث احتلت الزراعة مساحات شاسعة في السهول الداخلية العليا و ايضا في اودية المرتفعات الجنوبية مما تسمح للمدن بالتطور، و قد اظهرت المناطق الاثرية الى تمسك الماسيل بالزراعة اكثر من المازسيل ، كما ساعدت الظروف التاريخية للمنطقة بالنمو و الازدهار لتميزها بقربها من قرطاجة حيث اقيمت مدن مثل دوقا و تبسة و كرتا التي كانت عاصمة ماسنيسا و صيفاكس و مكثار و الكاف ، و بهذا كانت المملكة الماسيلية عبارة عن شريط ضيق من الارض محصورة بين قرطاجة و المملكة المازيسيلية ، اما في الجنوب فكان سلوك قبائل الجيتول يرتبط اساسا بالامكانيات التي يتوفر عليها ملك الماسيل لمد نفوذه على هذه القبائل ، اما عن علاقتها بالمملكة المازيسيلية فكان يسودها نوع من الاضطراب نتيجة لتوسعات سيفاكس على حساب اراضيها.

بعد الحرب البونيقية الثانية تمكن ماسنيسا من اعادة الوحدة السياسية لنوميديا تحت شعار "افريقيا للافارقة" حيث امتدت من وادي الملوية غربا الى السيرت

الكبير شرقا فكانت مملكة مترامية الاطراف حكمها ماسنيسا و خلفاؤه ما يقارب القرن و نصف، و بموت ماسنيسا تدخل مرحلة جديدة تمثلت في مرحلة التغلغل الروماني الذي مهد لسقوط المملكة النوميدية الشاسعة فاصبحت مسرحا للصراعات السياسية و الفكرية للملوك الرومانيين، كما اصبح ملوك نوميديا لعبة في يد الرومان و اصبحت نوميديا مع تنصيب الملوك الجدد من طرف روما تابعة سياسيا و اقتصاديا و حضاريا لروما الى سنة 42 ق.م اين ضمت الى الدولة الرومانية و اعتبرت اراضيها اراضي رومانية.

2-مملكة موريطانيا: تعود اصولها الى القرن الرابع قبل الميلاد ، و مما جاء في النصوص التاريخية ان هذه المدينة كانت مزودة بنظام بلدي منظم مما يستدعي وجود حكومة منظمة قادرة على السهر على تطورها، و في اواخر القرن الثالث كان وجود مملكة موريطانية حقيقة تاريخية قدم لنا التاريخ احد ملوكها و هو الملك باغا الذي يعتبر معاصر و حليف ماسنيسا خلال الحرب البونيقية الثانية، بعد الملك باغا تنقطع المعلومات عن هذه المملكة لتعود مع سالستوس الذي تحدث عن الملك بوخوس الذي خضع له كل الموريطانيون ، و اعتمادا على غالبية كل المؤرخين كانت مملكة موريطانيا تقع ما بين المحيط الى الغرب و وادي الملوية الى الشرق، اما حدودها الجنوبية فكانت متغيرة .

توسعت هذه المملكة مرتين على حساب نوميديا ، المرة الاولى في عهد بوخوس بعد نهاية حرب يوغرطة حيث توسع شرقا و نال جزءا من بلاد المازسيل جزاء لمساعدته للرومان ، و الثانية بعد انهزام يوبا الاول في معركة تابسوس 46ق.م ، حيث حصل بوخوس الثاني على الجزء المتبقي من بلاد المازسيل و مد حدوده حتى الواد الكبير، و في سنة 25ق.م اصبحت مملكة بوخوس الثاني من نصيب يوبا الثاني ابن يوبا الاول وحفيد الماسينيسا الذي اخذه الرومان كرهينة الى عاصمتهم وهو في الخامسة على إثر انهزام والده في تامبسوس حيث عهد الى "أكتافيا Octavia" شقيقة الإمبراطور أغسطس برعيته وتربيته فنشأ في أحضان القصر الروماني كأبي فتى ارستقراطي من فتيان الروم ، فنجح في وقت وجيز أن

يلفت انتباه الإمبراطور ويحظى برضاه، فضلا عن ذلك استطاع يوبا الثاني أن يبرز في المعارك التي خاضها إلى جانب الإمبراطور فكافأه هذا الأخير باعطائه مملكة بوخوس الثاني، مع ما بقي من ملك أبيه يوبا الأول ، وقد كانت مملكة يوبا الثاني تمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى مصب الوادي الكبير من جهة الشرق، كما أنها كانت تضم جزءا كبيرا من اراضي الجيتول وعاصمة شرشال التي كانت يطلق عليها اسم القيصرية تكريما لولي نعمته قيصر روما وتزوج سلينا ابنه كليوبترا ورزقا بولد سمياه بطليموس ، توفي هذا الاخير سنة 33 ق.م ، ليخلفه في الحكم ابنه بطليموس سنة 23 ق.م الا ان هذا الاخير تم استدعائه من طرف الامبراطور الروماني كاليقولا سنة 40 ق.م الى روما اين تم القائه في السجن ليقتل بعد ذلك دون ان يترك وريثا ، و بموته تم الحاق المملكة بالامبراطورية الرومانية و اصبحت مقاطعة رومانية و قسمت بعدها الى مقاطعتين و التي تمثلتا في :

أ-موريطانيا القيصرية: تمتد من الوادي الكبير الى وادي الملوية على شريط ساحلي محصور بين البحر و الاطراف الشمالية للهضاب العليا ، وضعت تحت حكم وكيل الامبراطور الذي كان يجمع بين السلطة المدنية و السلطة العسكرية.
ب-موريطانيا الطنجية : تقع الى الغرب من وادي الملوية ، كان يحكمها وكيل الامبراطور الذي كان بمثابة القاضي، و بعد إحداثها من طرف الرومان تم إعادة تهيئة بعض المدن مثل تمودة، طنجة، تاموسيدة، زليل، بناصا، وليلي، شالة ، كما قامت بإحداث عدة مراكز ذات أهداف عسكرية، و خلال هذه الفترة عرف المغرب انفتاحا تجاريا مهما على حوض البحر الأبيض المتوسط، مع بداية القرن 5م، خرج الرومان من كل مناطق المغرب.



خريطة تبين مراكز مل من مملكة الماسيل و المازسيل و

موريطانيا

2/ المظاهر الحضارية :

1/ نظام الحكم :

ساد النظام القبلي في بادئ الامر ليعوض بعد ذلك بالنظام الملكي الوراثي و يفترض ان هذا النظام الذي طبق عند الماسيل يكون طبق عند المازسيل و الموريطانيين ايضا، ففي المرحلة الاولى كانت الملكية ملك العائلة ، بزعامة الشيخ الاكبر سنا و بوفاته ينتقل الحكم للاكبر سنا ، و هي القاعدة التي طبقت بعد وفاة غايا حيث لم يخلفه ابنه ماسنيسا و انما خلفه شقيق غايا ، و بعد وفاته انتقل الحكم الى ابنه كابوسا باعتباره الاكبر من ماسنيسا و بعد وفاة هذا الاخير رجع الحكم الى ماسنيسا.

اما المرحلة الثانية من الحكم فتبدأ بوفاة ماسنيسا سنة 148 ق.م ، اين تغير الحكم اذ خلفه ابناؤه الثلاثة ، حيث اسند الى الابن الاول و هو مكوسان السلطة التنفيذية و الابن الثاني غلوسان السلطة العسكرية ، اما الابن الثالث و هو

مستنبعل السلطة القضائية، و عن تقسيم السلطة حول الاخوة الثلاث اختلفت الآراء حيث يرى بعض المؤرخين انه تم ذلك طبقا لوصية ماسنيسا الذي تركها ، و هناك من يرى ان هذا التقسيم كان من اقتراح سكيبيو، و الغرض من ذلك هو تفكيك الحكم الموحد و ما لبثت ان بدأت الخلافات بين الاخوة الثلاث الذين حمل كل منهم لقب الملك ، حيث اتهم مكوسان بالولاء الاعظم لروما ، اما غلوسان و مستنبعل فقد ماتا في ظروف غامضة ما يؤكد على وجود صراع في السلطة، فبقي مكوسان الحاكم إلى أن توفي سنة 118 ق.م.

2/ التنظيم الاداري :

اعتمد النوميديون نظاما اداريا لا يختلف عن التنظيم الروماني فتمثل في ثلاث نظم ادارية ، و هي المجلس الاداري الذي يراسه الحاكم و يساعده قائد عسكري، اضافة الى الادارة القبلية او بما يعرف بمجلس القبيلة يتولى شؤونه شيخ القبيلة بمساعدة مجلس الاعيان ، و يتمثل دور شيخ القبيلة بالوساطة بين قبيلته و الملك ، و اخيرا ادارة المدن حيث كان على راس كل مدينة حاكم يرأس بما يسمى الآن بالمجلس البلدي و يعينه في مهمته قائدان عسكريان و ثلاثة موظفين يتمثل دورهم في حفظ النظام و جمع الضرائب حيث كانت هذه الاخيرة تتمتع باستقلالية واسعة في تسيير مصالحها الخاصة دون الرجوع الى الادارة المركزية، فيما يخص ادارة الاقاليم لا توجد اية وثائق تتكلم عن الادارة المركزية ، و لا يعرف عن وزراء الملك ، الا ان بعض المؤرخيين افترضوا ان يكونوا من الجماعة المقربة للملك من خلال نص تيتوس ليفيوس الذي تحدث عن تعيين سيفاكس لولاية له في مملكة ماسيل ، و من الاقاليم نتجه الى البلديات التي كانت تتكون من مجلس الشيوخ و الاشراف من خلال ما جاء في معظم النصوص و الاشراف في المدن النوميديية كانوا ثلاث و هذا النظام الثلاثي نجده في سيرتا تحت اسم الضباط الاساسيين في الاتحاد السيرتي. اما من الجانب المالي فقد كانت الضرائب المصدر الاساسي لجمع الاموال حيث كانت تدفع عينا على حسب الانتاج اي الربع او الخمس او العشر،

بالإضافة الى ضريبة المواشي هذا فيما يخص الارياف ، اما بالمدن فقد كانت الضرائب تدفع نقدا .

3/ التنظيم العسكري: كان الجيش يتكون اولا من الجيش الدائم الذي كان يضم الحرس الملكي و حاميات التي كانت تتموقع في المواقع الاستراتيجية ، كما كان الجيش يتوزع على شكل وحدات تحت قيادة ضباط من اجل تدريبه حيث كان مسلحا بمختلف الاسلحة الدفاعية و الهجومية، كما ضم هذا الجيش المشاة و الفرسان حيث لعب هذا الاخير الدور الاساسي . كما توجد ضمن هذه المجموعة فيما يعرف بالفرق الخيفية التي كانت مسلحة بالرمح و النبال ، و من الفرق الموجودة في الجيش وحدات الاحتياط و هذه الاخيرة كانت تجند عند اندلاع الحروب و بمجرد انتهائها تختفي ، ايضا نجد جماعة المرتزقة حيث استخدم الملوك النوميديين المرتزقة من الاسبان .

3/ الجانب الاقتصادي

كان النشاط الاقتصادي في العهد القبلي قائما على مبدأ سد الحاجة و ذلك في جميع نشاطاته سواء الزراعة او الصناعة او التجارة ، و بعد ظهور الممالك المغاربية تشكلت في نوميديا عناصر هامة ساهمت في تحقيق نشاط اقتصادي زاهر حيث شجعوا الزراعة و الصناعة و التجارة و عملوا على تطويرها ، بالإضافة الى الاستقرار السياسي الناجم عن طول فترة حكم معظم ملوكها مثل الملك ماسنيسا الذي حكم قرابة 55 سنة ، نتج عنها ازدياد الانتاج الزراعي و هو ما نجم عنه تنشيط المبادلات التجارية.

أ/ الزراعة:

اهتم الملوك النوميديون بالرعي و الزراعة حيث اعتبرت هذه الاخيرة النشاط الاول و الرئيسي للنوميديين حيث اعطى الملوك اهمية واسعة و قد ساعدهم في ذلك اعتدال المناخ و خصوبة التربة فساهموا في تطويرها امثال الملك ماسنيسا حتى اعتبره بعض المؤرخين على انه مدخل الزراعة الى بلاد المغرب بالرغم من

وجود معطيات اثرية تدل على ان ظهور الزراعة في بلاد المغرب يعود الى ما قبل فترة ماسنيسا من خلال العثور على بعض الادوات الزراعية التي تعود الى الحضارة القفصية كدليل لبداية اهتمام الانسان بالزراعة، و عن الاراضي و عن طريقة امتلاكها و طرق استغلالها عند النوميديين نجد نص ديدور الصقلي الذي تحدث عن ماسنيسا الذي ترك اراضي واسعة لكل ولد من اولاده ، اما فيما يخص اراضي ملكية التابعة للقصر و عن سعتها فالوثائق بخصوصها نادرة، اما الاراضي المخصصة للرعي كانت كلها تحت تصرف العشيرة اي لا وجود للملكية الفردية و لا مكان لتقسيم المرعى ، حتى الاراضي الغير صالحة للزراعة كانت تحت تصرف الجميع و للجميع الحق في استغلالها، و كانت نتيجة هذا التطور غزو المنتجات المغاربية لاسواق الخارجية من محاصيل متنوعة تمثلت في الكروم و الزيتون و الحبوب المتمثلة في القمح و الشعير .

ب/الصناعة :

نشطت الصناعة غير انها لم تنتوع كثيرا مقارنة بالزراعة حيث اقتصرت على الصناعات الرئيسية التي تخدم الانشطة الحيوية مثل الصناعة النسيجية و الاواني الفخارية و الاسلحة و بعض الصناعات المعدنية كالحلي الفضية و الادوات الزراعية كالمحراث.

ت/ التجارة :

كانت لنوميديا علاقات تجارية مع كامل بلدان حوض البحر المتوسط، و تتم هذه المبادلات عن طريق الموانئ و المدن البحرية، وقد تم فتح موانئ نوميديا في عهد ماسينسا في وجه تجار إغريق ومصريين وإيطاليين، و هذا ما يدل على وفرة الانتاج الزراعي و الصناعي الذي يعني بالضرورة وفرة المواد التي سيتم تسويقها و هذا هو حال بلاد المغرب حيث اتسعت اسواقها في الخارج ، و من اهم الصادرات تمثلت في المنتجات الزراعية و الاخشاب و العاج و ريش النعام ،بعد ان كان التبادل التجاري عبارة عن صفقات مقايضة اصبح بعد سك العملات يعتمد

على البيع و الشراء نقدا ، و كانت الاسواق في الحوض المتوسطي هي الاكثر استقبالا للمنتوج المغربي .

4/ العمارة

لم يقتصر ميدان العمارة عند المغاربة فقط على مساكنهم الشخصية و انما شكلت كذلك المقابر التي دفن فيها اشهر ملوكهم و التي كانت في الغالب تأخذ أشكالا هرمية مثل ضريح مدغاسن و الضريح الملكي الموريطاني ، كما كانت في بعض الاحيان تأخذ شكل قلاع صغيرة مثل قبر ماسنيسا بالخروب.

-ضريح مدغاسن : شيد في منطقة عرفت في العهد الروماني ببخيرة الملوك تبعد ب 30 كلم غرب مدينة باتنة كما يعرف بـضريح الملوك ، شيد خلال القرن 3 ق.م و هو بذلك يكون معاصر للمملكة الماسيلية، يعتبر من اقدم المعالم الاثرية الموجودة بالجزائر ، يحيط بالقبر مجموعة من القبور الامازيغية ، و كلمة مدغاسن مركبة من شقين التي تعني صاحب القبر، يتخذ الضريح شكلا مخروطيا ذو قاعدة اسطوانية، وقد استخدم في عمارة البناء عناصر معمارية ممتزجة بالطابع الشرقي الإغريقي وفقا للعلاقات التي كانت تربط شمال إفريقيا بالعالم الخارجي وفيما يتعلق بالأثاث الجنائزي الذي يعثر عليه عادة في مثل هذه الأضرحة أشير بأن الأبحاث التي أجريه بالمبنى كانت سلبية ربما أن هواة البحث عن الكنوز الدفينة قد تمكنوا من دخول الضريح و الوصول إلى غرفة الدفن قبل أن يصلها الباحثون في مجال علم الآثار.

-الضريح الملكي الموريطاني : يقع على بعد 60كلم غرب الجزائر ، صنف كمعلم وطني و ضمن مواقع التراث العالمي لليونيسكو، هو مبنى دائري الشكل يبلغ محيطه 185,5 م و قطره 60 م و علوه 34 م ، يبرز من الخارج 60 عمود من الطراز الايوني بالاضافة الى 4 ابواب وهمية ، يمكن الدخول الى الضريح عبر باب سفلية و ضيقة تقع تحت الباب الوهمية المتواجهة في الناحية الشرقية، و حول بنائه يقول المختصين ان الملك يوبا الثاني و زوجته كليباترا سيليني هما من

جامعة باجي مختار عنابة

قسم التاريخ

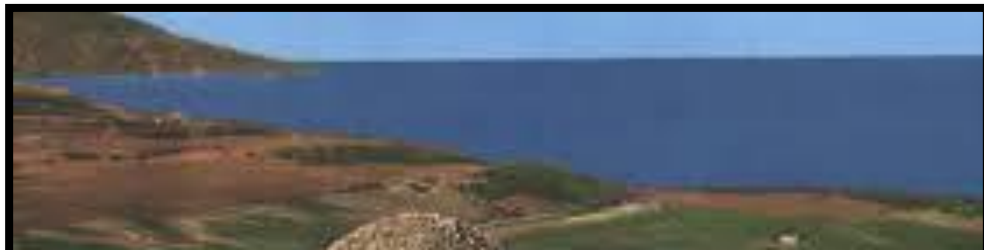
مقياس : تاريخ و حضارة المغرب القديم (السنة 2)

الأستاذة : رمادلية امال

اشرفا على بناءه و يسندون في ذلك الى كون يوبا الثاني كان رجلا مثقفا و ذو ذوق رفيع من خلال رحلاته التي قام بها
- ضريح الخروب : يسمى ايضا بضريح ماسنيسا يقع فوق هضبة بالقرب من مدينة الخروب بمدينة قسنطينة ، يختلف هذا القبر بكونه مشيد بالاحجار المصقولة و ذو شكل مكعب قي قاعدته مع درعين اللذين يرمزان لرتبة الملك الامازيغ.
و كخلاصة نجد ان الظروف الطبيعية الملائمة الى جانب الاستقرار السياسي و التقدم الزراعي و تزايد السكان ساهمت في ازدهار الحياة الاقتصادية و التخطيط العمراني للمدن و العناية بالمدافن من خلال اقامة الاضرحة و القبور.



صورة توضح ضريح مدغاسن بباتنة



جامعة باجي مختار عنابة
قسم التاريخ
مقياس : تاريخ و حضارة المغرب القديم (السنة 2)
الأستاذة : رمادلية امال

صورة للضريح الملكي الموريطاني بتييازة



صورة لضريح الخروب او بما يعرف بضريح ماسنيسا